



## عن حدام وبصرتها قصائد

عبدالكريم كاصد

حلم

في طريق صحراوي مهجور يحجبه عن الأفق تل من الرمل قال لي أبي الذي  
مات منذ زمن: " لقد دفنتها في (الصفيرية) و (البقيع). لم أسمع بهذين  
الموضعين من قبل. قلت لنفسي: "كيف يدفنها في موضعين؟ وبأية وسيلة  
سأبلغ قبرها؟ ألم أدفنها في مقبرة (كنسل كرين) في لندن من قبل؟"  
أحسست كأني أشهد موت زوجتي ثانية، فغمرني حزن لم يفارقني طوال  
اليوم التالي للحلم. ولم يخفف منه انتقالي في الحلم إلى غرفة واسعة وضعت  
فرشها على خزانة عالية. كان على الخزانة أيضاً جثتان وقد لفت كل واحدة  
بكفن أبيض نظيف، فاطمأنت نفسي.

---

عبدالكريم كاصد، شاعر من العراق يقيم في لندن

قلت لمحدثي الذي كان زوجتي ربّما: " أوه . . الآن اطمأنت . أنتِ إذن  
لستِ مدفونةً في (الصفيريّة) و(البقيع) .  
ثم فكّرت كم يتعب الجثتين نقلهما مع الفرش كلّ مرّة! قلتُ لندفنهما إذن  
! لعلّ في ذلك راحةً لهما! ثم أفقتُ وقد لازمني الحلم ولم يفارقني حتّى  
الآن :

في رمال البقيع  
حملتُ الغزاة مَيِّتَةً  
قلتُ : أحملها  
علّني في الطريق أصادف ساحرةً  
ساحراً  
من قبائل غابرةٍ  
عرباً رحلاً  
ملكاً بذياب الرعاة  
نبيّاً ضارباً في الفلاة  
إلهاً قادماً من ظلام الأساطير  
وحشاً  
لأسألهم كي يعيدوا لي الميت  
لكنّني  
حين باغتني الفجرُ  
واستوحشتني الطريقُ  
وأقبلت الریحُ  
ألفيتني ضائعاً في البقيع  
أصيحُّ وأجري وراء الغزاةِ  
هاربَةً في الرمال

## انتظار

عندما كنت واقفاً كتمثال بين طفلي، أثناء دفن أمهما مشدوهاً، حانت مني التفاتة إلى صديق عزيز وهو يهيل التراب على حفرة القبر بكل ما أوتي من قوة لا كراهة بالميت ولا بأهله وإنما . . . هل أراد أن يقول: لنته مما هو حق، ولتبدأ الحياة بما هو حق! غير أن الحياة لم تمر كما أراد، والحفرة التي أراد طمرها ها هي تمثل أمامه ولم يخط بعد سوى خطوات هي أشهر معدودة، وأن ما حسبه حياة لي هو الموت بعينه، فيها هي زوجتي تعود من القبر ولم تفارقني قط (أحزن من أجل ذلك أم أفرح؟)، إذ مات صديقي وكأنه لم يدفن أحداً أو يشهد دفن أحد.

كان هذا الصديق ويا للمصادفة العجيبة يسكن على مقربة من مقبرة زوجتي، ولكن شاء له أقرابؤه أن يدفنه في قبر ناء . . . في وطنه، بخلاف ما تمناه من دفن عاجل وقبر مريح قريب يخطو إليه، كما يخطو في نزواته اليومية عابراً المقبرة باتجاه النهر الشبيه بأنهار بصرتة الحبيبة.

كنت كلما زرت قبر زوجتي مررت عليه حتى صار من النادر أن تفوتني الزيارتان، ولكنني حين أمّر، هذه الأيام، بشقته الخالية (هل حل بها أحد بعد؟)، المطلّة على النهر من جهة، وعلى الشارع المؤدي إلى المقبرة من جهة أخرى، ينتابني إحساس وكأنني أغوص أنا والباص في هاوية لا قرار لها، لا أفيق منه إلا عند وقوف الباص أمام بوابة المقبرة الكبيرة، معلناً رحلة العذاب إلى العالم الآخر حيث القارب الصغير بانتظاري ليحملني إلى الضفة الثانية هناك تنتظر حذام دون أن تملّ الانتظار . . . يا لوجدتي!

على ضفة النهر

يجلس منتظراً

---

قارباً لا يجيء  
وإن جاء يوماً  
فماذا سيحمل؟  
ماذا؟  
أظلاً يسير على الماء  
أم حجراً  
لا يغادر ضففته  
أبداً؟

### مشفى

كان مشفىً بأقصى المدينة  
مشفىً صغيراً  
مررنا به مرّة  
ثم عدنا وفي إثرنا الشمس  
يصحبنا في الطريق  
ملاكٌ حملناه  
- ثالثنا كان -  
طفلاً  
وفي مرّةٍ  
عدتُ  
كيف ترى عدتُ؟  
ما كنتُ يوماً هناك  
ولا كنتُ  
مشفىً بأقصى المدينة

كان

وكان بعيداً

بعيداً

بعيدا

اختفاء

" سأموت عند الفجر "

قالت

واختفت في وردة جورية حمراء

ياجورية

ضمت رفات حبيتي

ومضت بلا أثر

متى ألقاك؟

أين؟

بأي أرض؟

آه ياجورية حمراء

ياجورية حمراء

يا . . . . .

رحيل الأميرة

كل شيء هنا

يتلفّت:

شمسك

---

والليل ينشقُّ عن قمرٍ

والنهار

وتلك السهوبُ البعيدة

(حين تطلّين)

والطيرُ يبكي

ونافذةٌ تغلقُ الآن

والصمتُ يطبقُ

والعرباُتُ تمرّ

وبوّابةٌ فتحتُ

للأميرة

بوّابةٌ أغلقتُ

للأميرة

بوّابةٌ

للرحيل

الغابة

في غابةٍ نفسي

ضيّعتكِ ذات مساء

فقلبتُ الغابةَ

أحملُ فانوسي وأصيحُ:

" حدام... !

حدام... !"

فلا يرجع غير صدّي يتردّدُ أصداً

" حذام... !

حذام... !"

انطفأ الفانوس

وأظلمت الغابة

ماذا أفعل؟

أأقوم

وأقطع كل الأشجار؟

تبه

اليوم

وقد ضيعتُ طريقي

تبعنتني أوراقُ لحريفٍ مرَّ

كمعتوهٍ يمشي خلفي ويمطِّقُ

كان الوقتُ مساءً

والبوابة مغلقة

وأنا وحدي

أتلَّفتُ مذعوراً

في مقبرةٍ خاليةٍ إلا مني

قلتُ إذن فالأوقفُ حارسها

عله يفتح لي

لكنني لم أبصر في الباب سوى شبحٍ

يسم لي

ويشير إلى جهةٍ لا أعرفها

جهةٍ أخرى

نائية

حلّ الليل  
ولم أصل الجهة الأخرى

مثلما في الحدائق

مثلما في الحدائق  
ينتشر الناس عند الظهيرة  
بين القبور:

مصاطب غارقة بالظلال

جناح يمر

وثرثرة

أ مقبرة

هذه؟

أم تراني أخطأت؟

ينقصها بضعة من أراجيح

ينقصها صبية

وصياح

لتصبح مثل الحدائق

وسط ابتهاج القبور

مملكة

كلما اجتزت بوابة المقبرة

وتخطيت تلك القبور



ولاح السياج بعيداً  
يسد السماء  
وشارفت قبرك  
قلت: أمملكة الموت أعبُر؟  
أم إنني  
- وقد وقف الموت بيني وبينك -  
ذاك الغريب الذي اجتاز مملكة  
وعاد إلى عالم الناس  
وهو الغريب  
يودع بوابةً  
ويغادر  
يفصله عنك ذلك السياج  
يلوح بعيداً  
بعيداً  
ويصغر  
يصغر

في الأفق

حتى  
يغيّب

أزهار

بالأمس  
أتيت  
وكنْتُ وحيداً

---

أَتَطَّلِعُ فِي الْقَبْرِ  
حَمَلتِ الْأَزْهَارِ إِلَيَّ  
وَقَلتِ :  
" كَفَى حزنًا "  
ثُمَّ تَرَكتَنِي  
أَتَلَقْتُ  
لَا أَدْرِي مَاذَا أَفْعَلُ بِالْأَزْهَارِ

### منازل

لماذا يَكْسِرنا الوقت مثل الزجاج؟  
وَيَمِشِي على خَطوِنا السائرون  
وتبعَد تلك المنازل  
مثل النجوم  
أَكُنَّا بِها؟  
هل نصير إليها؟  
تري؟  
أم ستشترنا الريح في الطرقات  
ويلهو بنا صبيَّة  
وتمر بنا الحافلات  
فنعلق بالجالسين  
وندخل تلك المنازل ثانيةً  
أندخل تلك المنازل ثانيةً؟  
ونحدق فيها  
فلا يعرف الساكنون

ولا نحن نعرف

أم إننا سنعود

وقد بعثرتنا غباراً

رياح السنين

فضاء

ها أنا الآن

آتي إليك . . .

وقد مرّ عامان

بابٌ ولا بيت

والأرضُ

لا أرض أبصرُ

والرياح دوني تمرّ

وهذي المسافات حولي مظلمة

ولا معة بالكواكب

أين تراني تعلقت؟

أين؟

بأي فراغ؟

أبابٌ ولا بيت خلفه

أطرقه

واقفاً

في فضاءٍ عجيب؟

## ظلال

ظلالٌ تحاورني في المساء  
ظلالٌ أحاورها في المساء  
ظلالٌ أصافحها وتصافحني  
ظلالٌ

ظلالٌ  
ظلالٌ

ظلالٌ أسيرُ بها ذاهباً آيياً في طريقٍ طويلٍ  
ظلالٌ تسيل  
على قدمي  
على راحتي  
وتطلع لي فجأةً من جدارٍ يقابلني  
فمن أين جاء الجدار؟  
ومن أين هذي الظلال التي تتدافعُ نحوي . .  
من أين هذي الظلال  
أأدفعها أم ستدفعني؟  
أعانقها أم تعانقني؟  
وهي تلك التي رافقتني سنينا  
وغابت سنينا  
وقد يُثقلُ الطينُ أقدامها  
فتعود إلي  
وتحنو علي  
وتجلس عند سريري معذبةً

لا يرفّ لها هُدْبٌ  
أو تبوح لها شَفَّةٌ  
أو تمدّ لها راحةً  
يا ظلالِي  
يا ظلالِي التي من حجرٍ

### لعبة

لنبدأ اللعبة يا حبيبتِي  
أنتِ أنا  
وأنا أنتِ  
سأضعُ الأزهارَ على قبرِكِ  
وتضعين الأزهارَ على قبرِي  
سأدخلُ بوابَةَ الليلِ  
وتدخلين بوابَةَ النهارِ  
ونلتقي هناك  
لا يعرفُ أحدنا الآخرَ  
ستقولين: أنتِ انا  
وأقول: أنا أنتِ  
ونضحك كالأطفالِ

### صيف

جميلٌ هو الصيفُ  
عيناكِ بنيتانِ وشعركِ أسود

---

وحمراء  
حمراء  
وردتك العابرة

خریف

يا سماء الخريف  
أمطري  
أمطري  
ورقاً ذابلاً  
يا سماء الخريف  
واذكري  
أنّ لي عند ذاك الضريح  
زهرة  
- هل تذكرتها؟ -  
تستريح

جدار

خلف ذاك الجدار أطلّ حبيبي  
خلف ذاك الجدار استراح حبيبي  
خلف ذاك الجدار  
انتظرتُ لأوقفه  
ليلاً

ليلتين

ثلاثاً

فلم تطلع الشمس

لم تطلع الشمس

كان الظلام يلفّ حبيبي

ما أفضت به الشجرة

واقفة في الضوء

رأيت نعوشاً سوداء

طيوراً سوداء

أناساً بثياب سودٍ يحتفلون

ويدورون

كقبرةٍ حول الميت

رأيت

رجلاً لا أعرفه

امرأة لا تعرفني

شمساً تحمل ظلي وتغادر

ليلاً يتحسس أغصاني

وينام

وقد يشعل ناره في البرد

رأيت

شجراً

مثلي

في مقبرةٍ عزلاء

---

تراب

واحداً

واحداً

يهبطون إلى باطن الأرض

لا يأنسون للليل

ولا للنهار

ولا يتعبون

منازلهم من تراب

وأثوابهم من تراب

وسدرتهم من تراب

وهم من تراب

يغيبون في باطن الأرض

لا يتركون وراءهم

أثراً

في التراب